

تفسیر حدیث كنت كنز و آیه "لا تدع مع الله إلهاً آخر" از حضرت اعلیٰ

بسم الله الرحمن الرحيم

۱- الحمد لله الذي قد تعالى بعلو كبريائيته عن علو اعلیٰ جوهر المجردات و تعظم بذاتية ازليته عن منتهى عرفان الجوهريات و هو لم يزل لا يقع عليه الاسماء و الصفات و لا يصعد غاية درك الكائنات و هو الذات البحت الذي لم يزل كان و لم يكن احد غيره و لا يزال انه هو كائن و لم يكن معه شيء^{۶۱} في رتبته كل الاسماء صفة لمشيته و كل الصفات نعت لأرادته، ليعرف العباد بارئهم و يصفوه بما تجلى لهم بهم بأنه «لا اله الا هو» الفرد الاحد الصمد لا يدركه شيء و لا يقترن به شيء و انه هو لا يستوى على شيء و لا يقارن شيئاً و لا يخلو عن شيء و لا يدخل في شيء و هو المتعال بان يقول انه هو شيء سبحانه «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^{۶۲} و هو الواحد المتكبر القهار و اشهده في مقامى هذا على صفح الجبل^{۶۳} بان محمداً عبده و رسوله قد اصطفيه من بحبوحة ذروة الابداع بظهور سلطنته و قمصه بقميص الافضال لبروز كبريائيته و جعله متفرداً عن الاشباه و الامثال في ملكوت ارضه و سمائه ليستدل المستدلون عن نعته بنعته و عن وصفه بوصفه و هو رسول من عنده على العالمين؛ و مظاهر نفسه اثني عشر نفساً^{۶۴} عند الله الذين قد جعلهم الله اركان توحيده^{۶۵} و رايات تقديسه و مظاهر تفريده و علامات سلطانه و عزته. لم يعرفهم احد الا الله جاعلهم و من هو فوقهم^{۶۶} و انما دونهم عندهم لم يذكر و ان يذكر كظل فئى بل استغفرالله من ذلك التحديد الكثير. و لا اصفهم و لا اقول انى اعرفهم بل اعترف بعجزى بما قال الله سبحانه «عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»^{۶۷} و اشهد ان الله قد اصطفى لهم شيعة^{۶۸}

لحفظ دينهم و خلقهم من طينة مكنونة من فاضل طينتهم و هم شهداء من عندهم على جميع الخلق ما يحكمون الا بأذنهم و ما يشاؤون الا بمشيئتهم و هم من خشيته مشفقون و من جحدهم او يجحدهم فى حكمهم فلن يقبل من عمله شىء و اولئك هم الخاسرون.

٢- اما بعد قد رأيت من سطرت فى لوح القرطاس و اشهد بما سئلت آية من الكتاب و حديث ما قال الله سبحانه «كنت كنزاً مخفياً فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكى اعرف»^٩ فاعلم بان ابحر الابداع و الاختراع^٧ لم يكف فى بيان معنى من حرف منها و ليس لى سبيل الى معرفتها لان وجودى و ما ينسب اليه لم يذكر الا فى ظلها و ان على قدر ضعفى و منتهى مسكنتى و ضرى. انما المراد فى الآية «فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ»^{١١} ان تعرف حكم الظاهر فهو الظاهر لا اله الا هو فيبطل وجود غيره بذكر وجود غيره و لم يكن اعظم من ذلك دليل عند الله ان كنت من المستبصرين و ان تعرف حكم الظاهر قد حذرکم الله فى كتابه عن نفسه و قال الصادق (ع) فى حديث الحروف «اي حذرکم ان تجعلوا محمداً مصنوعاً لكان الذات محدثاً مصنوعاً و ان هذا هو الكفر الصراح؛ لان الالهية التى هى نفس ذات البحت لم يعرفها غيره و ان الذى يقدر ان يعرف العباد و يوصفه اهل اليجاد هو ذكره الذى نسبه الى نفسه و جعله قائماً على مقامه و لذا شهد بذلك محكم الآيات «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ»^{١٢} و ان ذلك لهو الحق المبين. فاعلم ان لمعرفة الله سبحانه لم اختلاف و ان اعلى مراتبها لاهل المحبة ان يعرفه به، اي بظهوره له به كما قال السجاد (ع) «عرفتك بك و انت دللتنى عليك و دعوتنى اليك و لو لا انت لم ادر ما انت»^{١٣} و لو اراد العبد ان يعرفه بغيره فالمعروف هو غيره لا نفسه لانه هو لا يعرف بخلقه و لا يوصف بعباده فالمعروف هو غيره لانفسه لانه هو لا يعرف بخلقه و لا يوصف بعباده و من اراد ان يعرفه بابداعه فهو جاهل فى عرفانه و من اراد ان يصفه بثناء خلقه فهو الملحد فى اسمائه و من اراد ان يتوجه اليه بمحمد ان يعرفه به فيكفر بحضرتة لان الدعوة هى فرع المعرفة و المعرفة فرع المحبة و المحبة هى نفس العبادة و من عبد الله بشىء من صفته او اسمه فقد كفر به و لم يعبد شيئاً

و من توجَّهَ هاليه يوجد احد من عباده فم يتوجَّه اليه و يحجبه وجه عزه عن النظر الى طلعه و ضلَّت الحكماء كلهم و بطلت اقوال الصوفيه باجمعهم حيث كلَّ قد افتروا على الله ربهم من حيث يلقي الشيطان من انفسهم انما السبيل الواضح و المنهج اللائح هو ما قال الامام (ع) بما روى في الكافي^{٧٤} «من عبد الاسم و المعنى فقد اشرك و من عبد الاسم فقد هلك و من عبد الاسم المعنى فقد كفر»^{٧٥} و عبد المعنى بايقاع الاسماء عليه فاو تلك اصحاب امير المؤمنين عليه السلام حقاً؛ ذلك رشح من حكم باطن الظاهر. و ان اردت ظاهر الباطن فاعرف قول عليّ النقي (ع)^{٧٦} روحى و من هو فى علم الله فداه فى زيارة الجامعة^{٧٧} «من اراد الله بدء بكم و من وحدّه قبل عنكم و من قصده توجّه بكم»^{٧٨} لان الامر لم يرجع الى الذات و لا الى الذكر الاوّل»^{٧٩} فكلما نسب اليهم هو المنسوب الى الله كما شهد بذلك تلك الزيارة «من عرفكم فقد عرف الله و من جحدكم فقد جحد الله»^{٨٠} و ان معرفة الله لم يظهر الا بمعرفتهم كما صرح بذلك قول الحجة^{٨١} عليه السلام فى دعاء كل يوم من شهر رجب^{٨٢} «فبهم ملئت سمائك و ارضك حتى ظهر ان لا اله الا انت»^{٨٣} و قال الامام عليه السلام «لا يعرف الله الا بسبيل معرفتنا بنا عرف الله و بنا عبد الله لو لا نا ما عبد الله» و ان ذلك رشح من ابهر ذلك المقام لمن اراد ان يعرف حكم حى الذى لا ينام و يستقر على بساط انس سلطان الذى لا يضام و يشهد بقدره ملك الذى لا يرام. و ان اردت ان تعرف باطن الباطن قد صرح سبحانه فى كتابه حيث نزل فى سورة يوسف^{٨٤} عليه السلام «أَرْيَا بٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ»^{٨٥} لان ظهور علّة الرابعة و الكلمة التامة هى لا يتم الا بظهور نفسها فى نفسها و ان هذه الآية لما نزلت من مبدء جوهريتها الى منتهى سر مركزها هى يرجع اليها ذلك ذكر لمن اراد ان يذكر او ينبغى الى ذى العرش سبيلاً. ان بيان حقيقة ذلك الامر هو ان الممكن لم يزل ممكن لم يقدر ان يعرف ربه و ان الازل لا يزال لن ينزل حتى يعرفه طلعه و لقد ابدع من فيض قدرته و ملك صنع ربوبيته آية فى حقائق الانفس و الافاق ليستدلوا بها على معرفته و يعرفون بها و هى آية حادثة تدل على الله سبحانه بما يمكن فى ذاتها الا كما هو اهله لا يعرفه غيره و لا يصفه دونه و

هي آية حادثة كمثل قولك «لا اله الا الله»^{٨٦} كما ان بها يدل على توحيد الله فهي بمثلها و هي المثل الأعلى^{٨٧} في السموات و الارض الذي «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^{٨٨} و هو العلي المتكبر و من ان غير الله سبحانه هو المراد في هذه الآية او يرجع الى دونه حكم او يبقى دون وجهه فقد ضاد الله في حكمه و نازعه في ملكه و حاربه في سلطانه و له عذاب شديد. و انما الوجه الذي يبقى بعد فناء كل شيء^{٨٩} هو وجه الله سبحانه الذي نسبة الى نفسه و هو مقام آل الله سلام الله عليهم حيث صرح سيدهم^{٩٠} عليهم السلام في خطبته و قال «انا وجه الله الذي لا يموت»^{٩١} و ان مثل هذه النسبة كمثل قولك بيت الله فهو منسوب الى الله تشريفا له و تعظيما من عنده عليه الا ان وجه ذات الازل لم يعرفه غيره حتى يحكم ببقائه و فناء غيره بل هو الوجه الظاهر عن وجهه و الدال على طلعه و الحاكي بقمص وجهته و بذلك وردت الاخبار من شمس العظمة و الاسرار حيث لا يكاد يحصى لمن اراد ان يعرفها او ان يستدل بها و على ذلك يشهد الكتاب في قوله عز ذكره «فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ»^{٩٢} فان آل الله سلام الله عليهم المراد و هم الوجه الذي ليس لهم من نفاذ. ذلك ذكر في سبيل الظاهر و ان اردت مسلك الباطن ان عدة الوجه هي اربعة عشر و هي عدة قصابات اربعة عشر و هم الادلاء على الله في عوالم الامر و الخلق اولهم محمد و آخرهم محمد و ان من اسمائهم هو اليد حيث عرف الله سبحانه بجلالة شأنهم و علو قدرهم بان ملكوت السموات و الارض بيده^{٩٣} اي في قبضهم و ايديهم يحكمون و يفعلون ما يريدون لا يعجزهم شيء في السموات و لا في الارض و لكنهم ما يشاؤون الا ان يشاء الله و كان الله ورائهم خبير شهيد و محيط. ان عدة احرف الوجه هي عدة اسم الله الجواد و الوهاب و اليد الذي هو فوق الايدي تلك عدة حروف الهجائية في آيتين منها تلك آيات الله بظهورها و الوجه الذي انزله الله في ليلة القدر^{٩٤} و هو اول الفيض و آخره هيكله هيكل الهاء و عدته هي مساوي عدة كلمته و كلمته هي طبق سره و علانيته و اسمه المخمس في رقوم الهندسية هكذا * و ذلك شكل الذي نقش على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام و فعل بها ما فعل بأذن الله و ان الله سبحانه ما خلق كلمة يحكى اوله

عن آخره و سره عن علانيته الأ كلمة الهاء و لذا وقع في أول اسم الاعظم هو و هو اذا ضرب في نفسه يظهر اسم الاعلى و هو على اعلى من كل شيء و كل شيء يفنى الأ وجه ربك و ان حروفه هو الالف و مكرّر الياء و ان كلمة هي اربعة القائم و القيوم و القدوس و القديم و كل من تلك الاربعة اذا فرق بين المائة لم تجد الا عشرين هاء و كل خمسة من كلمة بلا زيادة حرف و لا انتقاص و ان ذلك من فضل الله على من يشاء و ان ذلك من فوز الميين. و ان اخر الآية^{٩٥} ان المراد بالرجوع الى الله هو الرجوع الى مقاماته و علاماته لان الذات هو الصمد لم يخرج منه شيء و لم يدخل علمه شيء قد خلق آياتاً لنفسه و جعل الرجوع اليها الرجوع اليه و العود اليه العود اليها و اليه الاشارة قوله سبحانه «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ»^{٩٦} ان الاشياء لم تبدوا من ذات و لم يرجعوا اليه «قد خلق الله الاشياء بالمشية و المشية بنفسها»^{٩٧} و جعلها مقام فعله في الأداء و القضاء كما صرح بذلك خطبة على (ع) في يوم الغدير^{٩٨} و انما الاشياء كلها قد ذوّت حقائقهم بها و يرجع اليها و ما كان لأمر الله من نفاذ.

٣- و ان معنى الحديث^{٩٩} هو بمثل معنى الآية كل شيء عند الله كعالم الاكبر^{١٠٠} فيه مشهود كل شيء و ان الله سبحانه قد اراد ان يبين في هذا الحديث مراتب الفعل كنت: مقام المشية؛ كنزاً: مقام الاردة؛ مخفياً: مقام القدر؛ فاحبب: مقام القضاء؛ ان اعرف: مقام الاذن؛ فخلقت الخلق: مقام الاجل؛ لكي اعرف: مقام الكتاب. تلك مراتب سبعة^{١٠١} لا يمكن ان يلبس حلة الوجود شيء من عالم المفقود الا بها، قد جعل الله حامل الاوّل محمد (ص) و الثاني على و الثالث فاطمة، و الرابع الحسن و الخامس الحسين، و السادس جعفر (ع) و السابع موسى (ع) تلك مراتب اذا نزلت من عالم الغيب الى الشهادة يظهر احرف الوجه و يكمل عدة اليد و يعلن الاسم الجواد و يخفى اسم الوهاب و ما خلق الله شيئاً في السموات و الارض الا بتلك الاربعة (عشر) كالواحد منه هو ملك الذي قد ايده الله ليستقر على ذلك الركن و يكتب اعمال العالمين في ظلّه ذلك في مقام الظهور. و ان اردت سلك الباطن الاوّل مقام البيان هو الذي يدعوا كنت و لا يكون معه كنز و

لامخفى ثم الثانى مقام المعانى و الثالث الابواب و الرابع مقام الأمامة و الخامس الاركان و السادس النقباء و السابع النجباء و ان ذلك التفسير هو عين الاوّل. ^{١٢} و ان اردت مسلك الباطن الذى هو ابطن من الاوّل من الاوّل تلك ظهورات اسماء الحسنى ^{١٣} فى ذكر محمد و علىّ عليهما السلام و علىّ و محمد كل حرف من اسمهما يدلّ على رتبة من ذلك الحديث القدسى ^{١٤} الى ان يتصل الحكم بآخر ما ينزل فيه و كفاك ما قرئت لك ان تعرف حرفاً منه ولكن لا يستطيع بذلك احد من يشاء الله و ان اليه يرجع الامر كله و استغفره و اتوب اليه من كلّ ما ذكرت فى الحين لانّ ما يصدر من الذنب ذنب عنده ^{١٥} و انه لهو الغنى المتعال. «و سبحان الله ربك رب العزة عنا يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.» ^{١٦}